# دور السيرة النبوية في نهضة الأُمم وتقدمها

م.د. هناء عبد الله عبيد
كلية التربية الجامعة المستنصرية

## المقدمة:

ادعت بعض الأُمم أنَّها الأصلح في قيادة البشرية ووصولها إلى أرقى ما تصل إليه الحضارة من الاهتمام بالإنسان بكل جوانبه، إلا أنَّها بمرور الأيام ثبت عجزها عن الوصول بالإنسان إلى درجة الرقي والتحضر، ولم تصل بالحضارة إلا إلى مزيد من الدمار والانحدار في الأخلاق، فأصبح الإنسان فيها لا يميز الخير من الشر، ورافقها ظهور الأمراض النفسية والتشوهات والشذوذ ومحاولة الانتحار؛ بسبب الفراغ الروحي الذي عانت منه هذه الأُمم، فشرع مفكريها وعلماؤها بإعداد حملة قوية يبحثون من خلالها عن حلول لمشكلاتهم التي أصبح من الصعب السيطرة عليها.

غير أنَّ المهمة كانت شاقّة على هؤلاء المثقفين والطبقة الواعية، فقد واجهت جهودهم تعثر كبير، فلم تبقى دياناتهم على حالها لكي تستقي منها ما ينقذها، ولا الالتجاء إلى العلمانية والإلحاد والرأسمالية والاشتراكية والوجودية مكّنها من أنْ تسترد به عافيتها، فكل هذه الاتجاهات تصلح لزمن معين ولفئة معينة.

لكن ثمّة حضارة يشترك في بناءها الكبير والصغير، القوي والضعيف، وأنَّ هذه الحضارة ليست لها وقت محدد تموت به وتنتهي... فلقد وُلِدَتْ مع ولادة أعظم نبي، هو محمد (ص)، وقد أسهمت هذه الحضارة في الأخذ بيد الإنسان الكريم على الله، كما في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}**(١).

أخذت هذه الحضارة بيده نحو التقدم والازدهار وحفظت حقوقه، ولم تعرض عليه حضارة حيوانية شهوانية تدمر كل شيء في طريقها، ولم تكلفه فوق ما يطيق حتى في العبادة،

بل مازجت بين الفطرة والسلوك، وبين الروح والجسد، وبين الألم والأمل، وبين التفاؤل والتشاؤم[٢].

فالإسلام هو الدين العالمي الخالد الذي أنزله الله تعالى على رسوله سيدنا محمد (ص)، فسيرته صالحة لكل شخص في كل مكان على كل حال، بحيث تصلح للعربي وغير العربي، للكبير والصغير، للآباء والأبناء، للحاكم والمحكوم، للفقير والغني، للمريض والصحيح، للمسرور والمقرور...

أضِف إلى واقعية السيرة ليست فقط شعارات مثالية أو خيالية، بل هي واقعية، لأنَّ الرسول (ص) لم يكن يأمر بشيء إلا وفعله، ورَبَّى عليه أصحابه (ص) [٣].

سنحاول في هذا البحث المتواضع أنْ نبيّن دور السيرة النبوية في رقي الأُمم ونهضتها، بما جاءت به السيرة النبوية من مبادئ وأخلاق وأعمال، أدت إلى ازدهار الأُمّة الإسلامية، فلم يتمكن أجدادنا من إدارة دفة العالم، ونشر رسالتهم، وفتحوا المشرق والمغرب، إلا بتمكنهم بهذا الدين، وتطبيق السنة النبوية، فارتفع شأنهم وعظمت مكانتهم، وهابتهم الأُمم، حيث سلموا أمورهم إلى الله سبحانه وتعالى وأظهروا العبودية له، فسخَّر لهم كل شيء[٤].

وقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاث مباحث، هي:

**المبحث الأول**: دور النبي (ص) في تحضر العرب.

**المبحث الثاني**: دور النبي (ص) في مواجهة الصراعات السياسية والعسكرية.

**المبحث الثالث**: دور النبي (ص) في نهضة المسلمين ورفع مستواهم الحضاري في شتى المجالات.

## المبحث الأول: دور النبي (ص) في تحضر العرب

من مظاهر فضل النبي (ص)، أنَّه ارتقى بالعرب إلى مستوى التحضُّر فوحد صفهم، وأقام لهم دولة وجعل منهم أُمّة وصفها القرآن الكريم بأنَّها خير أُمّة أُخرِجَت للناس... قال

تعالى : " كنتم خير أمة خرجت للناس" إنَّ في ذلك لرحمة، رحمة أنْ يعيش العربي في ظلال دولة مدنية وأُمّة متحضرة، وفي سبيل فكرة مستنيرة، لا أنْ يعيش في صراعات قبلية واقتتال على الناقة والعنزة، في سبيل أفكار رجعية أو عصبية منتنة كما يسمها النبي (ص): ((دعوها فإنَّها مُنْتِنَة))(٥).

هذا ولم يقتصر فضل النبي (ص) على تحضر العرب وحدهم، بل يمتد خيره ونوره إلى الشعوب والأُمم الأُخرى، وخصوصًا أوربا[٦]. عندما تمكن المجاهدين المخلصين المقتدين بكتاب الله وسنة نبيه (ص) من فتح الأندلس ونقلوا إليها أعظم حضارة عرفها التاريخ، بينما كانت أوربا غارقة في الظلمات يسعى ملوكها وأُمراؤها للتتلمذ على الأساتذة المسلمين، وينهلون من منابع العلم والحكمة والمعرفة في بلاط أُمراء الأندلس[٧].

لقد كانت الحياة العربية قبل الإسلام تقوم أساسًا على نمطية خاصة، فالقبيلة هي التنظيم الاجتماعي والسياسي الذي ينظم حياة الفرد في القبيلة، فكان انتماء العربي الجاهلي انتماءاً قبليًّا، وليس هناك رابطة توحد القبائل وتجمعها، بل على العكس، كانت القبائل متناحرة متحاربة، ومن هنا كان التغيير الذي أحدثه الرسول (ص) عميقًا في حياة الجزيرة العربية، إذْ استطاع بسياسته الكفاحية التي تمليها روح الإسلام أنْ يحوِّل هذه الوحدات القبلية المتفككة ويرتقي بها لتظهر في إطار الأُمة الإسلامية.

فبعد هجرته (ص) إلى المدينة، تمكّن من بناء مجتمعًا موحدًا، أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، قائم على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، بما جعلته تهوى إليه الأفئدة، ووضع (ص) حلولًا لمشكلات المجتمع الموحد، تفست الإنسانية من خلالها الصعداء، بعد أنْ كانت قد تعبت في غياهب الزمان ودياجير الظلمات[٨].

وفي هذا الصدد يقول فيليب حتّي: (( إذا نحن نظرنا إلى محمد (ص) من خلال الأعمال التي حققها، فإنَّ محمدًا الرجل والمعلم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد، ويبدو لنا بكل وضوح واحدًا من أقدر الرجال في أحقاب التاريخ، لقد نشر دينًا هو الإسلام، وأسس دولة

هي الخلافة، ووضع أُسس حضارة هي الحضارة العربية الإسلامية، وأقام أُمَّة هي الأُمة العربية، وهو لايزال إلى اليوم قوة حيَّة فعَّالة في حياة الملايين من البشر))[٩].

لقد كان فضل النبي (ص) في تحضّر العرب من العمق وبعد الأثر لا يحصره زمان أو يحدّه مكان، ويبيّن المسترسنكس أنَّ لمحمدًا (ص) الفضل الأكبر، ليس فقط في رقي العرب، بل في رقي العالم كله حتى اليوم، فيقول: "ظهر محمد (ص) بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر ووضع الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة بإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد وبحياة بعد هذه الحياة..."[١٠].

إنَّ الفكرة الدينية الإسلامية أحدثت رقيًا كبيرًا جدًا في العالم، وخلّصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة، كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكاهن، ولقد توصّل النبي محمد (ص) بمحوه كل صورة في المعابد إبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة[١١].

فبعد أنْ وحَّد الرسول الكريم (ص) صفوف المسلمين وجعلهم أُمة واحدة، شرعوا يبنون حضارتهم وفق الثقافة الإسلامية التي شرَّعها لهم نبيّهم محمد (ص)، والحضارة هي ثمرة كل جهد بشري يبذل عمارة الأرض وفق ثقافة ما[١٢].

فالحضارة هي مقصد شرعي، وهو الهدف الذي من أجله أنزل الله تعالى الإنسان إلى الأرض لتكون إبداعًا إلهيًا، بناءً حضاريًا من العلم والعمل والإيمان، مساحته التسليم للمالك، طاقته المحركة العبودية الخالصة للخالق، آليته سيطرة الآخرة على الدنيا.

وهكذا، قامت الحضارة الإسلامية في أسمى صورها على يد بانيها الأكبر محمد رسول الله (ص) أو قيام الحضارة على هذه الأرض كان هو الهدف من هبوط آدم (ع) عليها.

ولمَّا كان الهدف من خلق الإنسان هو في قوله تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**}[١٣].

فإنَّ المقصد من إنزاله إلى الأرض هو في قوله تعالى: **{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}**(١٤). وهذا هو جوهر مفهوم الحضارة.

## المبحث الثاني: دور النبي (ص) في مواجهة الصراعات السياسية والعسكرية

لقد حمل نبي الرحمة (9) وأتباعه قيم الإسلام العليا ومُثله السامية، وأخذوا في نشرها في كل أرجاء الدنيا دون إجبار الناس عليها، وبدأتْ عملية التفاعل الحضاري، وانطلق (ص) من مبدأ الحوار السلمي حقنًا للدماء، وتغليب العقل على العنف، فقد أرسى النبي محمد (ص) قواعد التفاوض والحوار والاعتراف بالطرف الآخر وتطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإيجاد السبل الكفيلة بتحقيق ذلك، مما يساعد على العيش بسلام وأمان وطمأنينة، انطلاقًا من قوله تعالى: **{ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}**(١٥).

فبعد الهجرة النبوية الشريفة، شرع (ص) بتنظيم علاقاته بغير المسلمين، وكان قصده بذلك توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء، وأقرب من كان يجاور المدينة من غير المسلمين هم اليهود وهم وإنْ كانوا يبطنون العداوة للمسلمين، لكن لم يكونوا أظهروا أية مقاومة أو خصومة بعد، فعقد معهم رسول الله (ص) معاهدة قرر لهم فيها النصح والخير وترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال ولم يتّجه إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة والخِصام(١٦).

ولَمَّا إذِنَ الله تعالى لرسول (ص) بالقتال في قوله تعالى: **{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}**(١٧)، رأى (ص) أنْ يعقد معاهدات حسن جوار وعدم اعتداء مع القبائل الواقعة في الطريق بين مكة والمدينة، فعقد معاهدة صلح مع بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة(١٨).

وجاء في هذه المعاهدة، أنَّه وادع مخشي بن عمر الضمري على أنْ لا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه ولا يكثروا عليه جمعًا ولا يعينوا عدوًا، وكتب بينه وبينهم كتابًا(١٩).

يظهر من هذه المعاهدة، أنَّ عقد المعاهدات بين الدولة الإسلامية والقبائل المجاورة كان سابقًا على الأعمال العسكرية التي قامت بها، بدليل أنَّ حركة السرايا الأولى الموجّهة ضد قريش، كان قد سبقها معاهدة سلام بين دولة الإسلام وقبيلة بني مدلج وبني جهينة.

لقد كان نهج النبي (ص) في الصراعات السياسية والعسكرية منهج الحوار لا الصدام مع الأُمم الأُخرى، فهو ينكر المركزية الحضارية التي تريد العالم حضارة واحدة مهيمنة ومتحكّمة في الأنماط والتكتلات الحضارية الأُخرى، فالإسلام يريد العالم (منتدى) حضارات متعددة الأطراف، يريد لهذه الحضارات المتعددة أنْ تتفاعل وتتساند في كل ما هو مشترك إنساني عام.

وهناك نماذج تطبيقية من السيرة النبوية عن الحوار والتفاوض وتفضيلهما على الحرب والصِدام، فبعد عقد الهدنة بين النبي (ص) ومشركي مكة الذين حاربوه على مدار ثمانية عشر عامًا أو أكثر، استغل النبي (ص) هذه الهدنة في مراسلة زعماء وأُمراء وملوك العالم للحوار والتواصل والتعريف بدعوة الإسلام، مَركّزًا في خطاباته على قيم الإسلام وحرية الاعتقاد.

فراسل النجاشي ملك الحبشة، والمقوقس ملك مصر، وكسرى ملك الفرس، وغيرهم، وكانوا ملوك العالم آنذاك، راسلهم برسائل على مستوىً عالٍ من التحضر والذوق الرفيع لتعريفهم بدعوة الإسلام، وغايته حقن الدماء وأعلى من شأن الحوار والتبادل العملي والثقافي.

لقد غيَّر النبي (ص) أغراض الحروب وأهدافها التي كانت تضرم نار الحرب لأجلها في الجاهلية، فبينما كانت الحرب عبارة عن النهب والسلب والقتل والإغارة والظلم والبغي... الخ، صارت هذه الحروب في الإسلام جهادًا في تحقيق أهداف نبيلة، وأغراض انسانية وغايات محمودة، يعتز بها المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان، فقد صارت الحرب جهادًا في تخليص الإنسان من نظام القهر والعدوان إلى نظام العدالة والإنصاف.

وأمر الرسول الكريم (ص) المسلمين الالتزام بالآداب العربية، منها عدم الإغارة على الأعداء ليلًا، ونهى (ص) عن قتل النساء والأطفال والشيوخ، ونهى عن إهلاك الحرث والنسل وقطع الأشجار إلى غير ذلك من القواعد النبيلة التي طهّرت الحروب من أدران الجاهلية حتى جعلتها جهادًا مقدّسًا[٢٠].

## المبحث الثالث: دور النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نهضة المسلمين ورفع مستواهم الحضاري في شتى المجالات

### أولًا: طلب العلم وفضله

إنَّ الكلمة الأولى التي نزلت على رسول الله (ص) في غار حراء هي "اقرأ"، لم تكن لا تقتل ولا تسرق ولا تزنِ... إلخ، كانت كلمة في منتهى الرقي والحضارة وتضمّنت سورة العلق كما في قوله تعالى: {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥))**}[٢١].

تضمّنت هذه السورة القراءة والعِلم والتعلّم، هذه الأدوات التي جعلت المسلم في قلب العالم وموجهًا فعّالًا للحضارة ليس هذا فحسب، بل انَّ الدلالة المعرفية تمتد إلى عمق زمني أبعد إلى لحظة خلق آدم (ع) الذي عُلِّم الأسماء كلها ومنح ذريته من بعده الاستعداد العقلي والجسدي لممارسة دورهم العمراني في العالم[٢٢]: قال تعالى **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**[٢٣].

ولم يعتنِ التشريع الإسلامي على شيء أكثر من عنايته بالعلم، فهو المدخل حسب منهج الشريعة الإسلامية لكل أمر فيه تستقبل أُمور الحياة، وبه يدرك أمرها وتحلّ ألغاز كثيرة من تعقيداتها، وبه تُحصّل الدرجات العليا لمن حصل عليه، ولقد امتدح النبي (ص)

المشتغلين فيه، ورفع الله أهله درجات، وخصاله التي خلّدتها النظرية الإسلامية أكثر من أنْ تحصى.

فهو أول برنامج لهداية الكون على يد نبيه الأمين محمد (ص) عندما أمره الله سبحانه وتعالى بالقراءة، وقد وردت عن رسول الله (ص) الكثير من الأحاديث التي تحثّ على التعلّم، وتبيّن فضل العلم فيها، قوله (ص): ((إذا أرادَ اللهُ بِعَبدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدّينِ))[٢٤].

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة))[٢٥].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول النبي (ص): ((من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع))[٢٦].

كل هذه الأحاديث وغيرها كثير، تدلّ على حرص الرسول (ص) على تعليم المسلمين، ولم يجعله (ص) مجرد حقّ لصاحبه، بل هو واجب وفرض، وليس واجبًا دنيويًا وقضائيًا في الدنيا، يُسأل عنه أمام الدولة والسلطة، بل هو فرض ديني يُسأل عنه في الدنيا والآخرة، فقال (ص): ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))[٢٧].

وقد حرص الرسول (ص) على تعليم المسلمين منذ الأيام الأولى لدعوته، وأكبر دليل على ذلك هو أنَّ النبي (ص) جعل فكّ أسرى بدر مرهون بتعليم المسلمين القراءة والكتابة[٢٨].

فعندما تعلم المسلمون ومارسوه، كوّنوا أعظم حضارة في التاريخ، وكانوا سادة العالم، وتألق مجدهم، وهو ما أراد ابن خلدون بقوله: ((إنَّ العلم والتعلّم طبيعي في العمران البشري، وانَّ العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران، وتنظم الحضارة))[٢٩].

ولقد شهد الغرب على أنفسهم بفضل المسلمين عليهم في العلم، فيقول بوكاي: ((إنَّ الإسلام ينظر إلى العلم والدين كتوأمين، وانَّ تهذيب العلم كان جزءًا من التوجهات الدينية منذ البداية، وانَّ تطبيق هذه القاعدة أدى إلى التقدم العلمي العجيب في عصر الحضارة الإسلامية العظمى التي استفاد منها الغرب قبل نهضته))[٣٠].

وقد سطعت شمس الإسلام على الغرب وبصورة خاصة في الأندلس، فقد حكمها المسلمون ثمانية قرون، عاشت الأندلس فيها برخاء وأمن، وأنشأ المسلمون فيها الجامعات والمدارس بكافة مراحلها، وحسّنوا الزراعة والصناعة والعمارة، فبعث الملك الفرنسي فيليب البافاي إلى الأندلس يرجو الأمير الأُموي هشام الأول (١٧٢-١٨٠هـ) أنْ يسمح له بإيفاد بعثة إلى قرطبة لدراسة أنظمة الأندلس وثقافتها ومشاهدة أوجه النشاط فيها، فقبل الأمير رجاءه، وأرسل الملك الجرماني وفدًا إلى الأندلس برئاسة وزيره الأول ويلمين، الذي أطلق عليه الأندلسيون اسم وليم الأمين؛ لأنَّه تحرّى الأمانة في نقل ما رأى من مظاهر نهضة بلادهم إلى الملك، وقد أشار الوزير على الملك بالاستمرار في إرسال البعثات العلمية لاقتباس ما يفيد البلاد من فنون الحضارة العربية.

## ثانيًا: دور النبي (ص) في ترسيخ قيم العمل والإنتاج

العمل هو الأساس في هذه الحياة، وهو السمة البارزة في الحياة، وتتوقف عليه المعيشة وكل تقدُّم أو حضارة أو مدنية.

وإنَّ العمل مرتبط بشكل جذري باستخلاف آدم وذريته في الأرض. أما الجنة فلا عمل فيها، ولذلك امتنّ الله على ، أولًا في الجنة عندما أسكنه فيها وقال له: إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلا تَضْحَى[٣١]. فأمَّن الله له الطعام والكساء والماء والمأوى بدون جهد ولا عمل.

ثم اقتضت حكمة الله تعالى أنْ خلفه الأرض لإعمارها، والاستفادة من خيرها والتمتّع بطيّباتها، ولكن ربط الحصول على حاجاته الضرورية بالكدِّ والسعيِّ والكسب، فقال تعالى: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}**[٣٢].

وعلّق كسب الإنسان بسعيه وعمله، فقال تعالى: **{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠)}**[٣٣].

وأكّد رسول الله (ص) الأمر بالعمل والحثّ عليه ومارسه حقيقة وواقعًا، فقال (ص): ((ما أكل أحد طعامًا قط خير من أنْ يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده))(٣٤). وقال أيضًا: ((أفضل الكسب بيع مبرور وعمل الرجل بيده))(٣٥).

ودعا إلى إتقان العمل وتحسينه، فقال (ص): ((إنَّ الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملًا أنْ يتقنه))(٣٦) بيانًا لقوله تعالى: {**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**}(٣٧).

وطلب رسول الله (ص) دفع الأجر للعامل بمجرد أنْ ينتهي من عمله، فقال (ص): ((اعطوا الأجير أجره قبل أنْ يجفّ عرقه))(٣٨).

وقال (ص): ((لَأَنْ يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أنْ يأتي رجلًا فيسأله أعطاه أو منعه))(٣٩).

وندّد رسول الله (ص) بالتكسُّب بالسؤال والتسوّل والاستجداء، فقال: ((من فتح على نفسه بابًا من المسألة فتح الله عليه بسبعين بابًا من الفقر))(٤٠).

وقال (ص): ((لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم))(٤١).

وقال (ص): ((ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم))(٤٢).

## ثالثًا: ترغيبه (ص) في الزراعة والصناعة والتجارة

كان الرسول الكريم محمد (ص) يُرغِّب بالزراعة في أحاديث مباركة، مثل قوله: ((ما من مسلم يزرع زرعًا أو يغرس غرسًا فيأكل منه طيرًا أو إنسانًا أو بهيمة إلّا كان له به صدقة))(٤٣).

لذلك دعا الإسلام إلى الزراعة، ووضع لها عقودًا مستقلة للانتفاع من الأرض، وتعاون الناس على ذلك كالمساقاة والمزارعة والمغارسة، وأشرف رسول الله (ص) على تعامل أهل المدينة في الزراعة.

ودعا الإسلام إلى التجارة ووضع لها أحكامًا عديدة تضمن تحقيق المصلحة للناس أولًا، وتمنع الظلم والغش والاحتكار والربا ثانيًا، وأقامها على مبدأ التراضي بين الأطراف، وخصص لها عقودًا مستقلة هي أوسع أبواب الفقه كالبيع والشركات.

واعتبر الإسلام جميع الصناعات فرض كفاية على الناس ليقوم بها بعض الناس ويتخصصوا فيها؛ لأنَّه وسيلة لتحقيق معظم مصالح الناس، والوسيلة تأخذ حكم الغاية غالبًا.

إنَّ أحوال المعيشة تتوقف على الصناعات المختلفة، لذلك تَقرّر طلبها شرعًا وحتى لا يكون المسلمون عالة على غيرهم أو يقعوا تحت حكمهم وخضوعهم لها مع حض الشرع لهم بذلك كما في قوله رسول الله (ص): ((ما أكل أحد طعامًا قطّ خير من أنْ يأكل من عمل يده))[٤٤].

**الخاتمة:**

الإسلام هو الدين العالمي الخالد، الذي أنزله الله تعالى على رسوله سيدنا محمد (ص)، وفيه تنظيم لعلاقة الإنسان بربه، وعلاقته بنفسه، فهو مبدأ عام لجمع شؤون الحياة، نظّم غرائز الإنسان المخلوقة معه تنظيمًا دقيقًا وأشبعها كلها إشباعًا صحيحًا، عالج مشاكله ونظّم أُموره، وما أحوج المسلمين اليوم لأنْ يحملوا الدعوة الإسلامية لسيادة أحكام الإسلام في الأرض واستجابة لأمر الله تعالى، ورعاية لشؤونهم، وكفالة لحقوقهم، وضمانًا لحاجاتهم.

وإنَّ دراسة الهدي النبوي في تربية الأُمَّة وإقامة الدولة، يساعد العلماء والقادة والفقهاء والحكّام على معرفة الطريق إلى عزّ الإسلام والمسلمين من خلال معرفة عوامل النهوض.

لقد سالم النبي (ص)، وحارب، وأقام، وسافر، وباع، واشترى، وأخذ، وأعطى، وما عاش (ص) وحده، بعثه الله سبحانه وتعالى على فترة من الرسل، وضلال من البشر، وانحراف في الفطر، واستطاع بعون الله أنْ يخرجهم من الظلام إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشقاء إلى السعادة، فأحبّوه، وفدوه بأنفسهم وأهليهم وأموالهم، واقتدوا به في كل صغيرة وكبيرة، وجعلوه نبراسًا لهم يستضيئون بنوره، ويهتدون بهديه، فأصبحوا أئمة الهدى وقادة البشرية.

**الهوامش:**

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الإسراء: أية٧٠.
(٢) ياقوت ، محمد مسعد ،مولد بني مولد حضارة ، بحث منشور في موسوعة الدفاع عن رسول الله (ص)، في موسوع الدفاع عن رسول الله ( ص)،ص ٥٤.
(٣) البر، عبد الحميد عبد الرحمن، لماذا محمد قدوتنا، دار الرائد، ٢٠١٠،ص ٩-١٠.
(٤) القهوجي، محمد رضا بشير،حاضر العالم الاسلامي ، ( دار الكلام الطيب، دمشق) ، (د. ت)،ص ٣٤١.
(٥) الطيالسي ، ابو داود سليمان بن داود ( ت ٢٠٤هـ) ، مسند ابي داود تالطيالسي ، تحقيق : الدكتور محمد بني عبد المحسن ، ط١ ، ( دار الهجر – مصر) ، ١٩٩٩م ، ج٣ ، رقم الحديث ١٨١٤ ، ص٢٧٩ ؛ البخاري ، ابي عبد الله بن اسماعيل ( ت ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ، ترقيم وترتيب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، تقديم : العلامة احمد محمد شاكر ، ط١ ، مصر ، ٢٠٠٨ ، حديث ٤٩٠٥ ، ص٦٠٧.
(٦) ياقوت ، دور النبي محمد (ص) في تحضّر العرب، نسخة محفوظة على موقع واي باك مشين ، ٢٠١٨، ص٧.
(٧) القهوجي، حاضر العالم الإسلامي، ٨٩.
(٨) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم،ط١٩، ( دار الوفاء، مصر)، ٢٠٠٧م، ١٧٩.
(٩) الإسلام منهج حياة، (دار صادر، بيروت) ، ١٩٨٤، ص٢٩.
(١٠) ياقوت ، دور النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في تحضّر العرب ،ص٧.
(١١) آن بنيرنست ، حياة وتعاليم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ص٥ ، نقلاً عن ياقوت ، دور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، في تحضر العرب، ص٧.

(١٢) الرفاعي ، حامد أحمد ، الإسلام ومنطلقات المشترك الحضاري البشري، ط١، ٢٠٠٥م،ص ١٤.

(١٣) سورة الذاريات:آية ٥٩.

(١٤) سورة البقرة:آية ٣٠.

(١٥) سورة النحل:آية ١٢٥.

(١٦) المباركفوري، الرحيق المختوم،ص ١٨٠.

(١٧) سورة الحج:آية ٣٩.

(١٨) ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك ( ت ٢١٨هـ) ، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت، ٢٠٠٤،ج١، ص٥٩١.

(١٩) ابن سعد ، ابو عبد الله محمد ( ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، (لا. ت)، ج٢، ص٨.

(٢٠) المباركفوري، الرحيق المختوم ، ٣٧٩.

(٢١) سورة العلق:آية ١-٥.

(٢٢) الشحوذ ، علي بن نايف ، تأسيسات إسلامية للعقل البشري الحضاري، بحث ضمن موسوعة البحوث والمقالات العلمية ، ص١.

(٢٣) سورة البقرة: ٣١-٣٣.

(٢٤) ابي حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ)،مسند الامام احمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة قرطبة، القاهرة)، رقم الحديث ١٦٨٨،ج٢، ص١٨٥.

(٢٥) ابن حنبل ، مسند امام أحمد ، رقم الحديث ٢١٧٧٤ ،ص١٩٥..

(٢٦) الترمذي ، محمد بن يحيى (ت: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (دار إحياء التراث العربي، بيروت) ، ( بلا.ت) ، رقم الحديث ٢٦٤٧، ج٤، ٢٥٣.

(٢٧) ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢، ( دار الفكر، بيروت) ، (بلا.ت) ، رقم الحديث ٢٢٤ ، ج١، ٣،٢٠.

(٢٨) يُنظر:ابن هشام ، السيرة النبوية، ج٢، ٣٢٠.

(٢٩) عبدالرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون ، (دار الطباعة الخديوية، بولاق، مصر)، (بلا.ت) ،ص ١٣٩-٣٧٥.

(٣٠) بوكاي ، موريس ، التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، (دار النهضة، بيروت)، ١٩٨٤،ص ١٨.

(٣١) سورة طه: ١١٨-١١٩.

(٣٢) سورة الملك: ١٥.

(٣٣) سورة النجم: ٣٩-٤١.

(٣٤) البخاري ، صحيح البخاري، رقم الحديث ٧٣٠.

(٣٥) ابي حنبل ، مسند أحمد ، ج٣ ،ص٤٦٦.

(٣٦) البيهقي ، أبو بكر أحمد ابن الحسن ( ت ٤٥٨) ، شعب الايمان ، تحقيق: محمد السعيد البسيوني زغلول، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ١٤١٠هـ، ج٢، ، ص١٢٤.

(٣٧) سورة الملك:آية ٢.

(٣٨) ابن ماجة، سنن ابن ماجة ، رقم الحديث ٢٤٤٣ ، ص٢١٤.

(٣٩) البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ، ص١٤٧٠.

(٤٠) البيهقي ، شعب الايمان ، رقم الحديث ٣٢٤٨ ، ج٥ ، ص٢٧٠ ؛ النووي ، ابو زكريا ، محي الدين يحيى بن شرف ( ت ٦٧٦هـ) ، شرح النووي، ( دار احياء التراث العربي –بيروت) ، ٢٠١٠ ، رقم الحديث ١٠٤٠ ، ج٧ ، ص١٠٧ ؛ المتقي ، علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي حنا بن القادري الشاذلي (ت ٩٧٥هـ) ، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، تحقيق : بكري حياني – صفوة السقا ، ط٥ ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١ ، ج٦ ، ص٥٠٥.

(٤١) الأزدي ، محمر بن ابي عمرو راشد ( ت ١٥٣هـ) ، الجامع ، تحقيق : حسيب الرحمن الاعظمي ، ط٢ ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، رقم الحديث ٢٠٠١٢ ، ج١١ ، ص٩٢ ؛ مسلم ، ابو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد ( ت ٢٦١هـ) ، المسند الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ( دار إحياء التراث العربي – بيروت ) ، ج٢ ، ص٧٢

(٤٢) البخاري ، صحيح البخاري، رقم ١٣٨١ ، ج٥ ، ص٣٢٥ ؛ مسلم ، صحيح رقم ١٧٢٤ ، ج٥ ، ص٢٤٦.

(٤٣) البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٢٣٢٠ ، ج١ ، ص٢٢٦ ؛ مسلم صحيح مسلم ، رقم ١٥٥٢، ج٣ ، ص١١٨٨..

(٤٤) ابن حنبل ، مسند احمد ، رقم الحديث ١٧١٨١ ،ج٤ ، ص٣٧٣ ؛ البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ، ص٧٣٠.

**Summary:**

Some nations claimed that they are the best in leading mankind and reaching the highest level of interest in civilization in all its aspects, but with the passage of days it has been proven inability to reach the human being to the level of sophistication and civilization, and it did not reach civilization except to more destruction and decline in morals, so that man became in it It does not distinguish good from evil, and it is accompanied by the appearance of mental illnesses, deformities, perversion and attempted suicide; Because of the spiritual void that these nations suffered from, their thinkers and scholars began to prepare a powerful campaign through which they searched for solutions to their problems, which had become difficult to control.

However, the task was arduous for these intellectuals and the conscious class, as their efforts faced great hindrance, so their religion did not remain the same in order to draw from it what saves it, nor did they resort to secularism, atheism, capitalism, socialism and existentialism that enabled it to recover with it, all of these trends are valid for a certain time and for a group. Certain.